العمدة محور الرقى القروى

يستطيع العمدة أن يكون محور النشاط وعامل الإصلاح فى قريته . فانه فى أغلب الأحوال أوفر القرويين مالا . وقد يكون أيضا أحظاهم بأكبر قسط من التعليم . وهو فى الغالب ينتسب الى أكبر العائلات التى تمتاز بالمكانة الاجتماعية والعقارية ولذلك فإن له مكانا ملحوظا فى مجتمع القرية قبل أن يكون له المكان الملحوظ فى المركز الادارى. ولهذا السبب أيضا يكبر نفوذه وتحترم كلمته ويقتدى به ويعتمد عليه . وكثيرا ما نجد من العمد من لا تقع فى بلدته جريمة إلا يكتشف فاعلها ولا تصل الى المركز من سكان قريته شكوى لأن القرويين يحتكمون اليه ويجدون فى نزاهته ما يرتاحون اليه ويطمئنون به الى حكمه .

والعمدة المتبصر البار يستطيع أن يرقى قريته ويجدد لها مرافقها المادية والاجتماعية . وركود العمدة وتراخيه يؤديان الى ركود القرية أيضا ، وتراخى أهلها . لأنه هو وعائلته القدوة الحسنة أو السيئة لجميع السكان يجدون فى شخصه مثالا للأخلاق كما تجد نسوة القرية فى زوجته مثالا آخر فى الزى والأخلاق والسيرة .

وأعظم ما يجب أن يشغل ذهن العمدة هو الصحة العامة . لأن هذه مشكلتنا الكبرى فى الريف . وهذه المشكلة ترجع على حد قول الدكتور على ابراهيم باشا الى "سياستنا المائية التى اتبعها مهندسو الرى منذ خمسين سنة تقريبا بإشباع الارض بالماء حتى أصبحت مباءة للديدان التى تصيب الانسان والنبات والحيوان". وبديهى أن علة تعيش وتنمو فى أرضنا خمسين سنة وتصيب جميع الريفيين تقريبا لا يمكن أن تتخلص منها فى سنة أو سنتين . بل إنا نحتاج الى عشرات الاعوام لكى نعود الفلاحين عادات جديدة لا فى صيانة أجسامهم من هذه الديدان فقط بل أيضا فى الرجوع الى أساليب الرى القديمة بالاقتصاد فى الماء عند الرى ومناوبة الأرض بالجفاف من وقت لآخر .

وإذا ما تخلص الفلاحون من هذه الديدان فإن عبئا ثقيلا جدا يكون قد انزاح عن كواهلهم وهو عبء المرض والضعف اللذين جعلا الحيوية المصرية تنحط الى مستوى بالغ الخطورة لا فى الصحة العامة فقط بل فى الإنتاج الاقتصادى العام .

ولكن الشفاء من هذه الديدان ليس أمنية تتحقق فى السنوات القريبة . فنحن نكافح هذه الديدان فى الوقت الحاضر مكافحة لها قيمة الإسعاف بالحقن وبتوزيع الأحذية ونحو

ذلك . فيجب على العمدة المستنير أن يحض أبناء قريته من الجنسين على الانتفاع بهذه العلاجات ، وان يلح فى المطالبة بإيجاد مراكز صحية لهذا الغرض .

وهناك شئون أخرى تؤثر فى الصحة العامة وبخاصة فى نقل الأمراض الوبائية . منها العناية بالمساق حتى لاتتصل بالأقذار ، ومنها اقامة لكنف فى المنازل . ومنها مقاومة الأمراض الوبائية التى تنتاب القرى من وقت لآخر . فإن كل هذه الشئون تحتاج الى التنوير العام . فاذا كان العمدة مستنيرا يقظا فانه يدأب فى تنبيه السكان الى الخطر من بعض عاداتهم الموروثة والى ضرورة الإقلاع عنها . وأملنا فى الاصلاح الهندسى للقرية واقامة المبانى العصرية لايزال من الآمال البعيدة . وحسبنا فى الوقت الحاضر أن نصلح القائم ونتوق الاسوأ الذى يتضح ضرره ويتحتم الاسعاف للتخلص منه . فان العمدة الذكى يعرف أن اسوأ ما فى الحميات الوافدة سرعة عدواها ، كما يعرف أن الفلاحين لايؤمنون بالعدوى . ولكنه باللطف والكياسة يستطيع أن يقنعهم بضرورة التبليغ عن كل مرض وبائى يقع فى بلدته وأن يقنعهم بأن الشفاء ممكن اذا كانت المعالجة ستجرى على ايدى المختصين من الأطباء . وهو بهذا النشاط يقى كثيرا من الشباب والصبيان خطر المرض والموت . بل يجب ان نزيد إحساس الفلاحين بخطر العدوى حتى فى أمراض الماشية وضرورة عزلها عن الماشية السليمة .

وهناك عادات أخرى تفشو من وقت لآخر بين الفلاحين كالإفراط فى تناول الشاى أو غيره ، بل هناك فلاحون فقراء أو أجراء يستهلكون أجورهم الصغيرة فى شراء الدخان مع حاجة أولادهم الى القليل الذى يكسبون لكى يشتروا به قوتهم . وهذه العادات التى تجعل الفلاح يطلب الترفيه النفسى بالشاى أو الدخان تدل على سأم وكراهية للعيش . والعمدة المستنير يستطيع ان يعالج هذه الحال أو يخفف من شرها اذا هو ساعد هؤلاء المنغمسين فى هذه العادات على أن يزيدوا كسبهم ويرفهوا عن انفسهم بالاجتماع المثمر بينهم وبين اخوانهم فى المسجد أو عند شيوخ القرية والمسنين من الصالحين .

على أن كل هذا الذى ذكرنا من نشاط العمدة الذكى المستنير يعد نشاطا سلبيا . ولكن هناك أيضا ألوانا عدة من النشاط الايجابى الذى يمكن ان يعمد اليه العمدة لترقية قريته . وأول ذلك هو " الجمعية التعاونية " فإنه يمكنه أن يؤسس هذه الجمعية لأى غرض زراعى مفيد . مثل تأمين الماشية أو خزن العلاق أو شراء البذور أو ايجاد الانوال . وعندنا أن أهم ما يمكن ان تقوم به جمعية تعاونية فى الوقت الحاضر هو تأمين الماشية . ولو أن جمعياتنا التعاونية أخذت بتأمين الماشية وآثرت هذا العمل على غيره لما شذ فلاح واحد عن الانضمام اليها . لأن الماشية هى أساس الاقتصاديات الزراعية ، فضمان حياتها وسلامتها يكفل

الانتظام الزراعى . وسوف نحتاج الى سنين عدة قبل أن يعم الاقتناع بفوائد الجمعيات التعاونية . ومتى عم فإننا سنرى انتعاشا جديدا فى الريف لا نكاد نحلم به الآن .

وقد كان النول من المؤسسات القروية قبل نحو خمسين سنة قبل أن تتدفق علينا المصنوعات الاوربية وتمحوه من قرانا . ولكن فرصة الحرب القائمة وما أحدثته من حماية جمركية فعلية يجب أن تنبه العمدة البصير الغيور على نهاض الفلاحين إلى إدخال النول من جديد فى القرية .

والعمدة يجب قبل كل شيء ان يجعل من شخصه وأعضاء عائلته و بيته أنموذجا يقتدى به الفلاحون فى الصلاح والنشاط والبعد عن العادات السيئة . وهو حين يفعل ذلك يجد الاستجابة العامة بين سكان قريته للاقتداء به .

الروح الاجتماعى فى المدرسة

اتجهت المدارس الجديدة الى ألوان من النشاط الاجتماعى تكون الأخلاق وتنمى الشخصية . فهى تؤلف ناديا لتلاميذها له ميزانيته المالية الخاصة ومكتبته وبرامجه من القاء خطب إلى القيام بنزهات مفيدة الى غير ذلك . والصبي وهو يشترك فى هذا النشاط يحس الروح الاجتماعى الذى يلازمه عند ما يترك المدرسة ويجعله يهتم بشئون المجتمع فينتفع وينفع معا . وقد يظن بعض الآباء ان اشتراك الصبي فى درامة يمثلها مع زملائه من التلاميذ أو تعليمه الغناء أو الموسيقا وأداء الأدوار أمام اخوانه — ان هذا الاشتراك هو مضيعة للوقت الذى كان يجب أن ينفق فى درس الحساب أو الجغرافيا اللذين سيمتحن فيهما . ولكن انتفاع الصبي بهذا النشاط قد يعود عليه فى المستقبل بفوائد تتجاوز قيمة هذه المواد التى يمتحن فيها . لأن هذا النشاط يحيله رجلا اجتماعيا يعرف كيف يعامل الناس و يعاشرهم و يثير فى نفسه اهتمامات مختلفة تحمله على قراءة الصحيفة ودرس المجتمع فى تطوراته . وهو يربى شخصيته ويجرئه على الاختلاط . فان المرانة على القاء خطبة بين زملائه يكبر شخصيته أكثر جدا مما تكبرها دراسة المواد التعليمية .